الجمـــــــهورية الجـــــــــزائرية الديمـــــــــــقراطية الشعـــــــــبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

محاضرات في النص الأدبي القديم

السنة الأولى ليسانس المجموعة " أ"

إعداد: سامية آجقو

المحاضرة الثالثة :شعر الصعاليك (لامية العرب للشنفرى)

1)الصعلكة في العرف العربي:[1]

إن رجال اللغة قاربوا بين مدلول عدة ألفاظ كصعلوك وذئب وخليع وفاتك ولص ،وجعلوها في جملتها تنتهي إلى غاية واحدة هي التعبير عن سلوك عدواني وأن هذه الألفاظ تعتبر صورا وأساليب لهذا السلوك فأحيانا يكون لصوصية ويسمى صاحبه لصا ،وأحيانا يكون تذوّبا أي فيه خلق الذئب ويسمى صاحبه ذئبا ،وأحيانا يكون فتكا فيه طابع المغارة والغيلة ،ويسمى فاعله فاتكا ،وما إلى ذلك ،وأن هذه الأساليب تدخل في مفهوم الصعلكة ،كما رأينا في المعاجم السابقة مثل قولهم (ذؤبان العرب)،صعاليكها الذين يتلصصون ،فهذا التعبير يتضمن ثلاثة ألفاظ هي ذئب وصعلوك ولص ،وقد جعلها كلها مجتمعة تؤدي معنى واحدا هو الصعلكة .

[1] ينظر: عبد الحليم حفني ،شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1987 ، ص ،26،27 .

وهم فئة خاصة تتميزعن المجتمع بطابع خاص ،شعاره الاعتداد بالنفس دون الأهل أو القبيلة ووسيلته العدوان في أي صورة تتهيأ له فيقطع الطريق حينما يتاح له قطعها ،ويسطو ويغزو متى وجد إلى ذلك سبيلا ،ويفتك حينما تمكنه الغرة ويتلصص إن لم يجد إلى ما سبق وسيلة ،ويجعل غايته من ذلك كله الحصول على الغنى والمال في أغلب الأحيان أو تحقيق مآرب خاصة دائما . وعليه فالاستعمال العربي سواء في الجاهلية والإسلام ، يغلب عليه ربط الصعلكة بمدلول آخر غير الفقر أو مع الفقر .

2) الشعراء الصعاليك: [1]

يمكن أن نميز بين ثلاث مجموعات مجموعة من الخلعاء الشذاذ الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائرهم مثل قيس بن الحدادية وأبي الطمحان ،ومجموعة من أبناء الحبشيات السود، ممن نبذهم آباؤهم ولم يلحقوهم بهم لعار ولادتهم مثل السليك بن السلكة وتأبط شرّا والشنفرى وكانوا يشركون أمهاتهم في سوادهم فسموهم وأضرابهم باسم أغربة العرب ،ومجموعة ثالثة لم تكن من الخلعاء ولا أبناء الإماء الحبشيات،غير أنها احترفت الصعلكة احترافا ،وقد تكون أفرادا مثل عروة بن الورد العبسي ،وقد تكون قبيلة برمتها مثل قبيلتي هذيل وفهم اللتين كانتا تنزلان بالقرب من مكة والطائف على التوالي .

وتتردد في أشعارهم جميعا صيحات الفقر والجوع ،كما تموج أنفسهم بثورة عارمة على الأغنياء والأشحاء ،ويمتازون بالشجاعة والصبر عند البأس وشدة المراس والمضاء وسرعة العدو حتى ليسمون بالعدائين ، وحتى لتضرب الأمثال بهم في شدة العدو ، فيقال (أعدى من السليك)و(وأعدى من الشنفرى)وتروى عنهم أقاصيص كثيرة في هذا الجانب ،كما كانوا يحسنون العدو كان كثير منهم يحسن ركوب الخيل والإغارة عليها ، ويقال إنه كان للسليك فرس وهو النحام ،وللشنفرى فرس يسمى اليحموم أما اسم فرس عروة بن الورد فقرمل وكانوا يغيرون أحيانا فرادى وأحيانا جماعات .

[1] ينظر :شوقي ضيف ،تاريخ الأدب العربي 1،العصر الجاهلي، .دار المعارف ا،لقاهرة ،مصر ، ط11، ص375 ،376.

3) أسبابها: [1]

ويمكن أن نحصر أهم الأسباب فيما يأتي :

ـ عدم وجود دولة جامعة :بمعنى عدم وجود قوة حيوية متحركة تسيطر على الأمة ويحس أفراد شعبها بأنهم مرتبطون بهذه القوة وخاضعون لها خضوعا يؤثر على سلوكهم .والصعاليك كانوا أقدر أفراد المجتمع على انتهاك هذه الأعراف والتنكر لها ، لأنهم يملكون أمرين مهمين في هذا المجال ، أحدهما القوة المتحررة من كل قيد وسلطان ، والآخر أنهم أكثر أفراد المجتمع وطوائفه تحللا من روابطه وعراه بل لا يربطهم بالمجتمع إلا ما يرون فيه منفعة لهم .

ـ ظهور زعامات غير متزنة : وكانت تتمثل في رؤساء القبائل والعشائر ، وهؤلاء الرؤساء لم يكن هناك قانون ينظم وصولها إلى الرياسة وإنما كانت هناك صفات تعارفوا على أن يسودوا من أجلها يتحلى بها وإن اختلفت نظرة القبائل إلى هذه الصفات ،وكان أهل الجاهلية يسودون إلا من تكاملت فيه ست خصال ،السخاء ،النجدة ،الصبر ،الحلم ،التواضع ،والبيان .

ـ عدم التوازن بين الفقر والغنى :أجمعت كتب اللغة ومعاجمها كما رأينا على أن أصل الصعلكة الفقر ، وشعر الصعاليك ينطق هذه الحقيقة بل يمكن أن يقال أن الفقر كان أبرز المعاني التي ترددت في شعرهم على الإطلاق فشظف موارد البيئة جعل ميزان التعادل بين الأفراد والجماعات مختلا .

ـطبيعة الأرض والحياة :المعروف أن أرض الجزيرة العربية يغلب عليها الطابع الجبلي الصحراوي وهذه الطبيعة تخلق حصونا طبيعية لأبنائها تحميهم حينما يلتمسون الحماية والبيئة العربية كل ما فيها قاس وعنيف.وهناك عوامل فردية تتعلق بالفرد وهي ظروف كثيرة منها ظرف الأغربة وهو تعبير يقصدون به نوعا من أبنائهم وهو النوع الذي يولد كلون الغراب، لأن أمه من الإماء السود، وفي وصفهم الأغربة ما يشير إلى لونهم الأسود.والوراثة :وهي من العوامل الإنسانية الموجهة لحياة البشر جميعا والعرب كانو ا يدركون أثر الوراثة كنفورهم من التزوج بغير العربيات حفاظا على توارث الدم العربي .

[1] ينظر :عبد الحليم حفني : شعرالصعاليك منهجه وخصائصه ،ص77،63،54،51،50

ـالاستعداد والشذوذ: وتعني بالاستعداد التهيؤ الفطري في الشخص للاتجاه إلى الصعلكة سواء أكان تهيؤامن الناحية النفسية كالميل الغريزي للعدوان ام كان جسميا كامتلاك صفات معينة تحتاجها حياة الصعاليك احتياجا أساسيا كخفة الحركة وسرعة العدو وحسن التسلل والمراوغة .

4ـ خصائص شعرهم

شعر الصعاليك في مجمله عبارة عن نص بسيط باستثناء لامية الشنفرى

ـ يصور ضربا من الأخلاق والنزعات لا نجدها في غيرة

ـ بنية نصوصهم بسيطة وأغلبها مقطوعات شعرية

ـ تخليهم عن وصف الناقة لأن سرعتهم كانت تغنيهم عنها

ـ استبدال الحديث الغزلي بحديث اللوم والعتاب

5ـ التعريف بالشنفرى ولامية العرب

الشنفرى هو عمرو بن مالك الأزدي ،من بني الحارث بن ربيعة توفي في عام 70قبل الهجرة ،وهو شاعر جاهلي من أفتك الصعاليك وأعداهم ، من قبيلة أزد اليمنية ،ويعني اسمه (غليظ الشفاه)، تنسب له لامية العرب وهذا مقطع منها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميَل

فقد حمّت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وأرحل

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزّل

لعمرك ما بالأرض ضيق على امرىء سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل

ولي دونكم أهلون سيد عمَلّس وأرقط زهلول وعرفاء جيأل

هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جرّ يخذل

وكل أبيّ باسل غير أنني إذا عرضت أولى الطرائد أبسل

إن مدّت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل

وما ذاك إلا بسطة عن تفضّل عليهم وكان الأفضل المتفضّل

وإني كفاني فقد من ليس جازيا بحسنى ولا في قربه متعلل